سبيلنا إلى الوحدة

٥

# عقيدة التبرير بالإيمان

## آفاق الحوار الكاثوليكي - اللوتري

أنطوان فليفل

٢٠١٢

## تمهيد

كلّ حوارٍ لاهوتيّ في المسيحيّة بين كنيستين أو جماعتين من المؤمنين محكومٌ بالارتهان لأمرين اثنين، الغاية والتمثّل[1]. فالغاية هي استعادة الشركة التامّة المنقطعة لأسبابٍ شتّى. والتمثّل هو البرهان الساطع على صحّة الحوار وتحقيقٌ للغاية المنشودة. كما أنّ الحوار المسكونيّ اللاهوتيّ، بصفته حوار حقيقة، والحقيقة لا تتجزّأ، يجب أن يبقى متماسكًا ومترابطًا على الرغم من تعدّد اللجان وكثرة النقاشات... فإنّ أبحاث الحوار الواحد تفيد ما يدور في حلقات الحوار الأخرى على الصعد كافّة، المحلّيّة والإقليميّة والعالميّة. ولا ريب في أنّ هذا الأمر ينطبق على الحوار الكاثوليكيّ-اللوتريّ الذي ما زال مستمرًّا في جهده الحثيث منذ سنة 1973، عبر محطّاتٍ طبعت مراحله المتعدّدة، وأعطت دفعًا كبيرًا للشركة بين الكنائس. وإن وثيقة الإعلان المشترك حول مسألة التبرير بالإيمان وحده، الصادرة سنة 1999، محطّةٌ بارزة في تاريخ الحوار اللاهوتيّ الدائر في الغرب المسيحيّ على وجه العموم، وفي الحوار الكاثوليكيّ-اللوتريّ على وجه الخصوص.

ربّ سائلٍ عن فائدة هذا الحوار للشرقيّين ولا سيّما الأرثوذكسيّين منهم والكاثوليك إن سلّمنا بأنّ هذه الفائدة جمّة للبروتستانت والإنجيليّين في

---

[1] بمعنى القبول أو التقبّل. وإني أوثر "التمثّل" لما فيها من عمق تقبّل أمرٍ ما حتّى يصبح جزءًا لا يتجزّأ من المتقبِّل.

بلادنا، الناشئين في تراث الإصلاح الإنجيليّ. وفي هذا التساؤل شيءٌ من الحقّ! ولكنّ مسألة التبرير هذه تخصّ الإيمان في أوصاله الكبرى، وتتعلّق بمسائل أخرى خطيرة ناجمة عنها كالخلاص، لجهة صانعه والمتلقّين له، وسرّ الكنيسة بشأن دورها وأبنائها في هذا الفعل، وبشأن ما يترتّب على هذه القاعدة العقائديّة من نتائج أسراريّة وروحيّة ورعائيّة. وفي هذا الصدد، لا بدّ من إلقاء بعض الأضواء على خصوصيّات الحوار الكاثوليكيّ-اللوتريّ، سواءٌ من حيث المضمون أم النهج المتّبع في التمييز بين القضيّة الأساسيّة والمسائل الثانويّة، والتوصّل إلى *التوافق المتمايِز*، أي التوافق على الجوهريّ على الرغم من نقاط الاختلاف في الأمور الثانويّة، والتي لا تزال تحتاج إلى مزيدٍ من البحث والتدقيق.

تتمحور المسألة الأساسيّة في الحوار الكاثوليكيّ-اللوتريّ حول نعمة الله التي تبرِّر بالإيمان بيسوع المسيح المخلّص الأوحد، وذلك بغضّ النظر عن استحقاقات المؤمنين وأعمالهم الصالحة. وهذا الإعلان يُبرز إبرازًا جليًّا البعد الخريستولوجيّ المتجلّي بوساطة يسوع الإله والإنسان الفريدة، والذي يندرج في إطارِ التدبير الثالوثيّ، ويرتبط به ارتباطًا وثيقًا عبر عبادة الابن للآب بطاعته الأزليّة والأبديّة، وعبر فعل الروح القدس وقوّته وحضوره ضمن تناغمٍ خريسيتولوجيّ وبنماتولوجيّ فائق. وهذا معناه أنّ الخلاص لا يرتهن لأيّة شروطٍ تتحقّق بواسطة الإنسان. هذا هو التبرير بالإيمان وحده إذ لا تبرير بدون الإيمان الذي يرتكز على خلاص ابن الله المتجسّد. وقد بات بيّنًا للجميع أن اللاهوت المسيحيّ، على اختلاف تقاليده، يقرّ بهذه الحقيقة ويتأسّس عليها. وقد اقتضى التوصّل إلى هذا القدر من التوافق،

الإقرار بالخروج من المفاهيم اللاهوتيّة والمقولات الجدليّة التي سادت في القرن السادس عشر والحقبة التي تلته إلى منتصف القرن العشرين، والتعالي عن الظروف التاريخيّة بمعطياتها المعقّدة التي أحاطت بالأحداث وأفضت إلى كسر الشركة. ولولا هذين الخروج والتعالي لما وصلنا إلى التمييز بين الأمر الثابت المشتركمن جهة، والتطوّرات اللاحقة التي أسهمت في تعميق الخلاف وصولاً إلى الحرومات والأحكام المطلقة من كلّ فريقٍ ضدّ الآخر، من جهةٍ أخرى.

إن التطابق في المسألة الأساسيّة أفسح في المجال أمام *التوافق* في ما هو أساسيّ *والتمايز* في ما خلا ذلك شرط أن لا يضرّ بالجوهر. والباب لا يزال مفتوحًا على مصراعيه أمام الدراسات والأبحاث التي تطال ما هو عالقٌ لإقرار ما ينبغي توحيده وما يمكن أن يبقى مغايرًا. وقد عكف الحوار الكاثوليكيّ–اللوتريّ، من ناحيةٍ أخرى، على حصر المسائل الثانويّة التي تحتاج إلى تدارسٍ من قبل اللجنة العالميّة بسبع نقاطٍ، وفق ما ورد في وثيقة الإعلان المشترك، أوردها باقتضابٍ شديد :

– *عجز الإنسان بسبب خطيئته عن نيل التبرير من تلقاء نفسه.* وتتضمّن هذه القضيّة إشكاليّة الشرّ الطبيعيّ أو الميل إلى الخطيئة، أو الشهوة. وهنا تبرز مسألة الحريّة الشخصيّة وما يتأتّى عنها لجهة الاختيار الواعي وتحديد المسؤوليّة في التعاطي مع الميل الطبيعيّ إلى الشرّ، فتزيد الأمر تعقيدًا. ومن البيّن أنّ الكنيستين لا تنطلقان من المبدإ عينه، ولا تنهجان النهج اللاهوتيّ الواحد في معالجة هذا

الموضوع، ولا تخلصان إلى النتائج عينها. وعمق الطرح يدور حول قدرة الخطيئة وتأصّلها في النفس البشريّة من جهة، ومدى الحريّة البشريّة عند من خُلق على صورة الله ومثاله، من جهةٍ أخرى.

- *التمييز بين التبرير بمعنى الخلاص، والبرارة بمعنى الصلاح*، وكلاهما لا ينفصل عن عمل الله الخلاصيّ. وقد أدّى الخلط بينهما إلى سوء فهمٍ وتباينٍ لا يستهان بهما في المقاربات اللاهوتيّة حول هذا الأمر.

- *التبرير بالنعمة بواسطة الإيمان*. وفي هذا المضمار، يجب الانكباب أوّلاً على تحديد عبارات "الإيمان" و"الاستحقاق" و"النعمة المبرِّرة"... تحديدًا دقيقًا ومشتركًا قبل التمكّن من توضيح علاقة هذه المفاهيم بعضها ببعض، وارتباطها بالتبرير والقداسة أو البرارة استنادًا إلى الفضائل الإلهيّة العظمى، الإيمان والرجاء والمحبّة.

- *كيان الإنسان الخاطئ المبرَّر*. في عمق هذا الحوار، نجدنا أمام موقفين "أنثروبولوجيّين" ونظرتين مختلفتين إلى الإنسان عينه في كيانه، وقلبه، ووجوده. وفي المذهبين الكاثوليكيّ واللوتريّ نظرتان متباينتان إلى العلاقة بين الخطيئة والعماد ومفاعيله وتحقّق التبرير في الزمان والمكان.

– *العلاقة بين الإنجيل والشريعة.* كيف نحدّد المسافة بين الروح الذي يحيي والحرف الذي يقتل، وأين نضع الحدّ الفاصل، وكيف السعي إلى توطيد أواصر البشارة الخلاصيّة في أطرٍ قد تبقى أسيرة العتيق والجامد والبشريّ؟

– *يقين الخلاص.* وهنا يُطرح السؤال حول الخلاص إن كان يقينًا بما أنّ المسيح قد حقّقه لنا جميعًا مرّةً واحدة، أم هو فعل ثقةٍ مطلقة بالله صاحب الخلاص؟ وما معنى اليقين في هذا السياق؟ هل هو ضمانةٌ تقود إلى حالٍ من الطمأنينة الكاذبة أم سعيٌ دؤوب لتتميم وعود الله في تاريخنا البشريّ.

– *الإنسان المبرَّر وأعماله الصالحة.* ففي حين يقرّ الطرفان بضرورة الأعمال الصالحة، يختلفان حول قيمتها الخلاصيّة واعتبارها عطيّة من الروح القدس، روح الله. وهل تقود هذه الأعمال إلى النعمة أم هي نتيجةٌ من نتائجها؟ وهل نحصل على الإيمان والشركة والتبرير بطريقةٍ كاملة وغير قابلة للنموّ، أم أنّ الإيمان ينمو فينا على الدوام، وأنّ النموّ في النعمة يقود إلى قامة ملء المسيح؟

فما هو موقف الشرق الأرثوذكسيّ من هذه النقاط، وماذا يستطيع أن يقدّم من مقاربته اللاهوتيّة لهذا الحوار، وكيف يمكنه أن يفيد من نتائجه؟

لا شكّ في أنّ اللاهوت المسيحيّ في جوهره واحدٌ ولكنّه متنوّع المقاربات لسرّ الله. ولا أغالي إن قلت إنّ العمود الفقريّ لمقاربة الآباء واللاهوتيّين الشرقيّين قائمٌ على تألّه الإنسان يرون فيه انسكابًا رحبًا للنعمة الإلهيّة لا يقدر الإنسان، مهما علا شأنُه الروحيّ على البلوغ إليها بجهده الخاصّ. فالله خلق الإنسان للشركة والحياة معه ممّا يجعل التدبير الثالوثيّ في أصله مشروعًا تأليهيًّا، لم تعطّله السقطة البشريّة، وإن اقتضى الأمر تغييرًا في أسلوب تحقيقه بسبب خطيئة الإنسان وأثرها على الشركة. وهو مشروعٌ يمرّ عبر سرّي التجسّد والفداء المرتبطين الواحد بالآخر ارتباطًا وثيقًا وثابتًا. وغاية الخلق والتجسّد والموت والقيامة إنّما هي البلوغ بالإنسان إلى عمق الشركة الإلهيّة بالتألّه. ولا يسعنا أن نعتقد بأنّ التألّه ليس سوى وسيلة نشأت بفعل الحاجة بعد الخطيئة. حتّى إن بعض الآباء الشرقيّين ومنهم مكسيموس المعترف يطرح على بساط التأمل والتفكير فرضيّة التجسّد لإتمام التأليه بغضّ النظر عن السقطة ومفاعليها. ومن الطبيعيّ أن يحبّذها البعض فيما يشجبها البعض الآخر.

يقرّ التقليد اللاهوتيّ الشرقيّ بأنّ الخلاص يتمّ حسب مشروعٍ إلهيّ يتحقّق في التاريخ حيث يحتلّ البعد الخريستولوجيّ المكانة المرموقة دون تغييب دور أيٍّ من الأقنومين الآخرين، الآب والروح القدس. ولكن، في المقابل، يرسم للراغبين السبيل الفضلى إلى تسهيل عمليّة التأليه في الكائن البشريّ التي تتجلّى في إخلاء الذات على مثال ذاك الذي صار طائعًا حتّى الموت على الصليب. فوساطة المسيح الفريدة المبنيّة على الاتّحاد الأقنوميّ بين الطبيعتين الإنسانيّة والإلهيّة في شخصه، تعطي سرّ موته

وقيامته بعدًا شاملاً حتّى ليشمل الكون بأسره في فعل المصالحة بين الله والإنسان. هذا هو نموذج الحياة بالمسيح وبالروح القدس التي تقود إلى قلب الآب السماويّ كما عبّر عنها آباؤنا القدّيسون. وهذا كلّه يبيّن مدى الفهم الشرقيّ الصحيح لعقيدة التبرير بالإيمان وحده عبر الالتصاق بشخص يسوع المسيح الفادي بفعل الروح القدس وقوّة حضوره، حتّى تتصوّر فينا حياته ويكتمل سرُّ موته وقيامته.

يتّفق الفكر الشرقيّ مع المعتقدين الكاثوليكيّ واللوتريّ في موضوع النقطة الأساسيّة وفي أنّ الأعمال الصالحة والاستحقاقات لا تكفي للخلاص والتبرير مهما عظُم شأنها. أمّا بالنسبة إلى المسائل الثانويّة، فإنّه يتميّز عن الفكر الغربيّ في فهمه لمسائل النعمة وعملها، و"السينرغيّا" أو التعاون التي تبديه الطبيعة البشريّة في تجاوبها مع مبادرة الله، والحريّة الشخصيّة انطلاقًا من الصورة التي خُلق عليها الإنسان ووصولاً إلى تحقيق المثال في حياته وسعيه الدائم إلى مماثلة المسيح، صورة الآب الأزليّ.

لقد رأى الآباء القدّيسون الشرقيّون أنّ النعمة ملازمةٌ للطبيعة التوّاقة إلى الله. والعودة إلى الطبيعة تعني في كتاباتهم العودة إلى هذه النزعة الأصليّة إلى قبول التأليه حتّى تكتمل الصورة التي ننالها في العماد بالمثال المتمَّم في الحياة والجهاد الروحيّ. وفي حين يقرّون بأنّ الخطيئة تشوّه الطبيعة، لا يؤمنون بأنّها تحرمها من النعمة حرمانًا كاملاً. فالإنسان الخاطئ لا يزال قادرًا في نظرهم على "السينرغيّا" بسبب التجسّد الذي يؤنسن الألوهة ويؤلّه الإنسانيّة. ففي العماد، على سبيل المثال، تنتعش النعمة، ويتجدّد المثال،

وتسعى الحريّة البشريّة إلى موافقة الإرادة الإلهيّة. صحيحٌ أنّ المعتمِد ينال مغفرة الخطايا، ولكنّ هذا الأمر ليس سوى جزءٍ من العمل الخلاصيّ الشامل الذي يقتضي "لبس المسيح"، و"التشبّه به في سرّ موته للبلوغ معه إلى القيامة" كما يؤكّد بولس الرسول في رسائله. لهذا يسعنا القول إنّ اللاهوت الشرقيّ لم يتطرّق بشكلٍ مباشر إلى قيمة الأعمال الصالحة ودورها في الخلاص، ولكنّه نظر إليها وأدرجها ضمن مسيرة التأليه. فليس المهمّ أن تقوم بأعمالٍ صالحة تنال عليها جزاءً، بل أن تحيا بالروح حياة المسيح. لا ينفعك كسب الاستحقاقات إن لم تنلْ نعمة الإيمان بالمسيح الفادي. فهل تُسهم هذه المقاربة الشرقيّة في دفع الحوار الكاثوليكيّ–اللوتريّ إلى مزيدٍ من التقدّم في مسألة تحديد قيمة الأعمال البشريّة الصالحة أمام الله، ودورها في تحقيق عمليّة خلاص المؤمن؟

في المقابل، لا بدّ لنا كشرقيّين أن نقرّ بأنّ المضمون اللاهوتيّ للوثيقة المشتركة الذي يؤكّد على التوافق المتمايز في مسألة التبرير بالإيمان وحده، والتصريح بأنّ مفعول الحرومات والأحكام المتبادلة بين الطرفين في القرن السادس عشر لا ينطبق على المؤمنين في أيّامنا الحاضرة، يحثّان كنائسنا الشرقيّة على العمل بجدٍّ لاستخلاص العبر من هذا الحوار. فإن كان التوافق على المسألة الأساسيّة قد تمّ، فماذا يحول بعد دون الاعتراف المتبادل بالجماعة الأخرى كنيسةً حقيقيّة للمسيح فيها ما يكفي من عناصر الخلاص والبعد الأسراريّ؟ لماذا لا نزال ننظر إذن إلى الجماعات الناشئة من الإصلاح وكأنّها جماعات هرطقةٍ وبدع قبل أن نتبصّر في لاهوتها وروحانيّتها وعبادتها وجهاد مؤمنيها؟ وما هي حقًّا الأسس اللاهوتيّة

الكامنة وراء بعض ممارساتنا الطقسيّة والليتورجيّة التي يغلب عليها أحيانًا طابع الفعل السحريّ الذي يتمّ دون التزام الشخص البشريّ وإرادته وحريّته؟ كيف نسعى إلى القداسة في كنائسنا وكيف نتعاطى مع شفاعة القديسين ودورهم في حياة الكنيسة على ضوء ما ورد في الوثيقة المشتركة؟ ألا يقوم همّنا الأكبر على تبيان أنّنا على حقٍّ وأنّ الآخر على خطإٍ؟ كم نعلي من شأن طقوسنا ونستخفّ بعبادة الآخرين؟

أمّا الإفادة من النهج الذي سار عليه هذا الحوار، فتكمن في قدرة لجاننا اللاهوتيّة في كنائس الشرق الأوسط على تمييز ما قد يشكّل مادّةً كافية *لتوافقٍ متمايز* في المسائل التي لا تزال تفرّق بيننا. وبمعنىً آخر، كيف يمكننا تحديد ما هو جوهريّ في مسائل العقيدة وفصله عن الأمور الثانويّة؟ إنّ الإعلان الخريستولوجي المشترك بين أتباع مجمع خلقيدونيا (451) ومناهضيه الذي جاء نتيجة عقودٍ من الحوار، والإعلان المشترك حول التبرير بالإيمان وحده، يشكّلان في نظري أساسًا ثابتًا على طريق الوحدة. إنّهما يفتحان الباب على مصراعيه أمام المزيد من الاتفاقات الراعويّة، والمشاركة الروحيّة، والتعاون الأخويّ تعزيزًا للشركة الحقيقيّة، كفي مثل حالة الزيجات المختلِطة، على سبيل المثال. ومثل هذا التقدّم يساعدنا بلا ريبٍ في اكتشاف شكل الوحدة المقبِل كما يوحي به إلينا الروح القدس، يكون شكلاً أو نموذجًا بعيدًا كلّ البعد عن أشكال الإقصاء المستند إلى الانطواء على الهويّات الطائفيّة والمذهبيّة، وعن أشكال الاقتناص من خلال الجهد الإرساليّ، وأقرب ما يكون إلى السعي المجمعيّ المنفتح على التعدّد المقبول والتنوّع المغني ضمن الوحدة.

إنّ التجارب الحواريّة اللاهوتيّة التي خضنا مضاميرها في الشرق الأوسط، سواءٌ في مجلس الكنائس، من خلال برامج وأنشطة قسم الإيمان والوحدة، والدراسات التي قام بها في الثمانينيّات والتسعينيّات من القرن الماضي، والحوار الذي أقامه مع كنيسة المشرق الأشوريّة، أم بين الكنائس المختلفة، من خلال الحوار بين السريان والروم الأرثوذكس، أو بين الروم الكاثوليك والأرثوذكس في بطريركيّة أنطاكيا، وما قد نقبل إليه من مساعٍ جديدة، تحتاج كلّها إلى نهجٍ رصينٍ وعلميّ يساعدنا على اكتشاف معالم نهج الحوار الذي توصّلت إليه اللجنة العالميّة بين الكاثوليك واللوتريّين. إنّ ما يجمعنا كبيرٌ فلِمَ لا يكون موضوع توافقٍ متمايز؟

هذه أمنية غالية أرفقها بالشكر الجزيل للدكتور الصديق أنطوان فليفل، الأستاذ في جامعة ليل الكاثوليكيّة، على كتابه القيّم، وعلى جرأته اللاهوتيّة، وسعة معرفته. وإنّي على يقينٍ بأنّ مثل هذه المقاربات يؤدّي خدمة جلّى للحركة المسكونيّة، ويسهم في تعزيز معرفة الكنائس بعضها لبعض معرفةً لاهوتيّة رصينة، ويقود إلى التقدّم على طريق الوحدة المنظورة التي نصبو إليها جميعنا كما يريدها الربّ يسوع المسيح، وفق إلهامات الروح القدس، ولمجد الله الآب.

**الأب كابي الهاشم**

## مقدّمة

إنّ القرن العشرين يعتبر بحقٍّ قرن الحركة المسكونيّة بامتياز، إذ تلاقت خلاله الكثير من الكنائس المتخاصمة قبلاً، وحاولت التوصّل، عبر الحوار إلى توافقاتٍ وتقاربات جمّة، منها ما أدّى إلى إعادة الشركة بين بعض الكنائس، ومنها ما أسهم في السير على دروب إعادة الشركة الطويل. وقد شهد هذا القرن على محطّاتٍ مسكونيّة طبعت تاريخ الكنيسة، كمثل تأسيس مجلس الكنائس العالمي (1948)، ومجلس كنائس الشرق الأوسط (1974)، ولقاء البابا بولس السادس بالبطريرك المسكونيّ أثيناغوراس، ورفع الحرومات المتبادلة بين الكنيستين الكاثوليكيّة والأرثوذكسيّة (1965)، وولادة حركاتٍ، ومؤسّساتٍ، وجمعيّات مسكونيّة أكاديميّة وكنسيّة متنوّعة.

لا شكّ في أنّ الحوار المسكونيّ الكاثوليكيّ – اللوتريّ الذي امتدّ على أربعة عقود، ابتداءً من ستّينيّات القرن العشرين، والذي تكلّل بإعلانٍ مشترك حول عقيدة التبرير بالإيمان، من أكبر الإنجازات المسكونيّة في هذا القرن. فإنّ السبب العقائديّ الأوّل لانشقاق الكنيستين اللوتريّة والكاثوليكيّة الواحدة عن الأخرى في القرن السادس عشر، كان بدون شكّ، اختلاف مارتن لوتر مع السلطة التعليميّة في الكنيسة الكاثوليكيّة

حول فهم عقيدة التبرير بالإيمان وأسلوب التعبير عنها. ولذلك ارتدى هذا الإعلان المشترك طابعًا مميّزًا جدًّا، إذ أنهى صراعًا لاهوتيًّا دام أكثر من أربعة قرون، وأوشك أن يؤدّي إلى رفع الحرومات المتبادلة الموجودة في نصوص المجمع التريدنتينيّ واعترافات إيمان الكنائس اللوتريّة.

أمور ثلاثة كانت بمثابة حوافز دفعت بنا إلى الشروع في كتابة هذه الدراسة:

أ – أوّلاً، نودّ من خلال هذا الكتاب المقتضب، إطلاع القارئ العربيّ على إشكاليّة عقيدة التبرير بالإيمان، وعلى مجريات الحوار اللوتريّ — الكاثوليكيّ ونتائجه اللاهوتيّة والمسكونيّة، ولا سيّما على الإعلان المشترك الذي تمّ التوصّل إليه. فالمكتبة العربيّة تفتقر أشدّ الافتقار إلى نصوصٍ ودراساتٍ تتناول هذه المسألة، بحيث يجد المرء الغير الملمّ باللغات الأجنبيّة نفسه أمام صعوبة التعرّف على هذه المرحلة المهمّة من تاريخ الحوار المسكونيّ في القرن العشرين.

ب –ثانيًا، إنّ تلاقي الكنائس التقليديّة والكنائس الناشئة من الإصلاح البروتستانتيّ، في السياق المسيحيّ العربيّ، يشوبه الكثير من الأحكام المسبقة، والمبنيّة في غالب الأحيان على جهلٍ كبير

للآخر، وللتاريخ، وللجهد المسكونيّ الحاصل منذ أكثر من قرن. فهذا يتّهم الآخر أنّه في طريق الضلال لأنّ كنيسته لا تكرّم مريم العذراء أو لا تحتفل بالأسرار كما يحتفل بها هو، وذاك يدين الآخر متّهمًا إيّاه بعبادة العذراء أو الأيقونات. وكلّها اتهامات باطلةٌ وبعيدة كلّ البعد عن واقع الكنائس التاريخيّ واللاهوتيّ والحواريّ. يبغي هذا الكتاب، عبر إلقائه الضوء على الحوار بين الكنائس اللوتريّة والكنيسة الكاثوليكيّة، الإسهام في تبيانٍ أجلى لهويّة كلٍّ من هاتين الكنسيتين الكبيرتين، وفي توضيح مواضع التمايز، والاختلاف، والتوافق بينهما.

ت ثالثًا، إنّ هذه الدراسة نابعةٌ أيضا من خبرةٍ مسكونيّة شخصيّة دفعتني إلى التعمّق في سُبل الحوار. فأنا من حيث الأسرار أرثوذكسيّ، بما أنّني تعمّدت، وفق رغبة جدّتي الأرثوذكسيّة وإلحاحها، في دير سيّدة صيدنايا في سوريا؛ وقد كان منزلي القديم، طوال ثلاثة عقود، إلى جانب كنيسة القدّيس ديميتريوس الأرثوذكسيّة في الأشرفية، أزورها أثناء الاحتفالات الليتورجيّة الكبرى. وأنا مارونيّ (كاثوليكيّ) بحسب نسبي العائليّ، وبحسب الأحوال الشخصيّة الطائفيّة اللبنانيّة؛ وقد التزمت على امتداد سنواتٍ طويلة في رعايا الحكمة وسيدة العطايا في الأشرفية، ومار

أنطونيوس البدوانيّ في الجميزة. وإضافة إلى ذلك، فقد قضيت جزءًا كبيرًا من طفولتي ومراهقتي في "كنيسة الله" الإنجيلية في الأشرفيّة، أشارك بنشاطاتٍ متنوّعة تقوم بها. وعندما شرعت بدراسة اللاهوت في جامعة الروح القدس في الكسليك، وفي خضم التزاماتي المتعدّدة في الرعايا المارونيّة المذكورة أعلاه، دفعني هذا الإرث المسكونيّ، الأرثوذكسيّ والكاثوليكيّ والبروتستنتيّ، وقادني إلى البحث الدائم عن سبل التلاقي والحوار، قناعة منّي أنّ كلّ الكنائس ليست سوى تجليّاتٍ متنوعة وجميلة لكنيسة المسيح الواحدة المبنيّة على كلمته المبرِّرة والمحيية.

تُقسم هذه الدراسة إلى ثلاثة فصول:

أ – الفصل الأول يتناول الشقّ التاريخيّ لعقيدة التبرير بالإيمان كما عولجت في القرن السادس عشر. وهو يلقي الضوء على جذور الإصلاح اللوتريّ وظروف نشأته، وعلى الصيغ اللاهوتيّة البروتستانتيّة والكاثوليكيّة التي أدّت إلى انقسام كنيسة الغرب، وإلى إطلاق الحرومات الكنسيّة التي تدين عقيدة الآخر.

ب –الفصل الثاني يتطرّق إلى مراحل الحوار المسكونيّ التي سبقت الإعلان المشترك حول عقيدة التبرير بالإيمان، والتي أدّت إلى

إقراره في شهر تشرين الأول (اكتوبر) 1999. ويستند هذا الفصل إلى مستنداتٍ مسكونيّة متعدّدة تلخّص حواراتٍ عالميّة ومحلّيّة، قام بها لاهوتيّون لوتريّون وكاثوليك منتدبين من كنائسهم.

ت -الفصل الثالث يعرض باقتضاب المراحل الأساسيّة لصياغة الإعلان المشترك، ويتوقّف على مفهومين محوريّين لهذا المستند، أعني مفهوم "التوافق المتمايز" ومفهوم "الفهم المشترك" لعقيدة التبرير بالإيمان. ثم يلي تعريب نصّ الإعلان المشترك الذي يكلّل حوار الأربعة عقود، ويمهّد الطريق للقيام بحواراتٍ جديدة تتناول مسائل لاهوتيّة وعقائديّة لا تزال عالقة بين الطرفين كسرّ الكنيسة والبنية الأسراريّة.

أخيرًا، أذكر أستاذي السعيد الذكر، الأب جان كوربون الذي أغنى فكري المسكونيّ أجمل إغناء عبر شخصه وتعليمه، ومن خلال كتابه "كنيسة العرب" ورؤيته الخاصّة للوحدة الأنطاكيّة. وأشكر صديقي الأب كابي الهاشم جزيل الشكر لأنّه أتاح لي فرصة كتابة هذه الدراسة، وجاد عليّ بنصائحه القيّمة. كما أشكر الأب عادل تيودور الخوري لدعمه المعنويّ والماديّ لهذا الكتاب.

**الدكتور أنطوان فليفل**

## محتويات الكتاب

**تمهيد الأب كابي هاشم**

**مقدّمة**

**الفصل الأوّل: مسألة التبرير في الإيمان في القرن السادس عشر**

1- الإصلاح، قصّة قديمة في الكنسية الغربية

2- مارتن لوتر المصلِح (1546-1583). نبذة مقتضَبة عن حياته

3- عقيدة التبرير بالإيمان اللوتريّة

4- المجمع التريدنتينيّ (1545-1563) وردّه على الإصلاح اللوتريّ

5- خلاصة

**الفصل الثاني: الحوارات الكاثوليكيّة – اللوتريّة السابقة للإعلان المشترك والممهدة له**

1- "الإنجيل والكنيسة" أو تقرير مالطا (1972): "التوافق الواسع"

2- تقرير "بإزاء الوحدة" (1985): النموذج الكنسيّ للشركة

3- الحوار الوطنيّ الكاثوليكيّ – اللوتريّ في الولايات المتحدة الأميركيّة: وثيقة "التبرير بالإيمان" (1983): الأساس الكرستولوجيّ والتوافق المتمايز

4- الحوار في ألمانيا الغربيّة (1981-1985): إعادة النظر في الحرومات الكنسيّة

5- الحوار العالميّ الكاثوليكيّ – اللوتريّ ووثيقة "الكنيسة والتبرير بالإيمان وحده" (1994)

**الفصل الثالث: الإعلان المشترك حول عقيدة التبرير**
**للاتّحاد اللوتريّ العالميّ والكنيسة الكاثوليكيّة**

1- تاريخ صياغة "الإعلان المشترك حول عقيدة التبرير"

2- التوافق المتمايز والفهم المشترك لعقيدة التبرير بالإيمان وحده

3- نصّ الإعلان المشترك حول عقيدة التبرير بين الكنائس اللوترية والكنيسة الكاثوليكية

**خاتمة**

أنطوان فليفل، *عقيدة التبرير بالإيمان، آفاق الحوار الكاثوليكي–اللوتري*، المكتبة البولسية، 2012، 184ص.

# عقيدة التبرير بالإيمان، آفاق الحوار الكاثوليكيّ – اللوتريّ

## المؤلّف في سطور

الدكتور أنطوان فليفل من مواليد بيروت في سنة ١٩٧٧.
أستاذ الفلسفة واللاهوت في جامعة ليل الكاثوليكيّة (فرنسا)
مسؤول عن العلاقات الجامعيّة في جمعيّة أعمال الشرق (Œuvre d'Orient)
وعضوٌ في اللجنة العلميّة للأبحاث في معهد البرناردان في باريس (Collège des Bernardins).
حائز على الشهادات التالية

- إجازة في الليتورجيا من جامعة الروح القدس الكسليك، ٢٠٠٠.
- إجازة في اللاهوت من جامعة الروح القدس الكسليك، ٢٠٠٠.
- إجازة تعليميّة في الفلسفة من جامعة الروح القدس الكسليك، ٢٠٠٠.
- شهادة دراسات عليا في الفلسفة من جامعة السوربون - باريس الأولى، ٢٠٠١.
- شهادة دراسات عليا في اللاهوت من المعهد الكاثوليكيّ، باريس، ٢٠٠٣.
- دكتوراه في الفلسفة من جامعة السوربون - باريس الأولى، ٢٠٠٧.
- دكتوراه في اللاهوت من جامعة ستراسبورغ، ٢٠١١.

له مؤلّفات ومحاضرات ونشاطات تعليميّة في الفلسفة السياسيّة، وإشكاليّة العلمانيّة، ورابط الدين بالسياسة، واللاهوت العقائديّ، واللاهوت السياقيّ، وحوار الأديان، والعلاقات المسكونيّة، وإشكاليّات المسيحيّة المشرقيّة. نشر مقالاتٍ حول هذه المسائل في جرائد عديدة، ووضع مناهج لتعليم اللغة العربيّة، باللهجة العاميّة اللبنانيّة للناطقين بالفرنسيّة.

***

إنّ الحوار الكاثوليكيّ – اللوتريّ الذي تكلّل بالتوصّل إلى إعلانٍ مشترك حول عقيدة التبرير بالإيمان، يشكّل محطّةً من أهمّ المحطّات المسكونيّة في القرن العشرين. فبعد أكثر من أربعة قرون من التباعد والإدانات والحروم المتبادلة، أدّى «التوافق المتمايز» حول هذه العقيدة بين الكنيستين الكاثوليكيّة واللوتريّة إلى اتّفاقٍ، وإلى مزيد من التقدّم على درب استعادة الشركة الكنسيّة التامّة.

تتوخّى هذه الدراسة إلقاء الضوء على معضلة عقيدة التبرير المسكونيّة، عبر التطرّق إلى الظروف التاريخيّة لانشقاق الكنيسة الغربيّة في القرن السادس عشر، ومن خلال قراءة نصوص الحوارات المسكونيّة قراءةً عميقة وتحليليّة، هذه الحوارات التي سعت جاهدةً، منذ ستّينيّات القرن العشرين، إلى إيجاد سبلٍ للتلاقي والتوافق بين الكنيستين. كما يضع هذا الكتاب في متناول القارئ العربيّ النصّ المعرّب لوثيقة الإعلان المشترك حول عقيدة التبرير بالإيمان التي وقّعها الطرفان في سنة ١٩٩٩.